قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

الإنسان في القرآن بين مظاهر التكريم والصفات السلبية

The Human Being in the Qur'an: Between Manifestations of Honor and Negative Traits

م . د صلاح صبار خربيط*

وزارة التربية/مديرية تربية الأنبار

Keywords:

The Holy Qur'an; Human Dignity; Human Attributes; Negative Traits

Abstract

This research examines how the Holy Quran discusses the divine care and honor given to Adam (peace be upon him) during his creation. Discussing Adam naturally includes his progeny (descendants), because humankind originated from him. The Quran emphasizes this concept in multiple places; although the original creation was for Adam, Allah addresses all people through it, because the creation of Adam was the beginning of the creation of all humanity.

The manifestations of human honoring are numerous. They appear in the human physical form, and in the innate human nature (*Fitrah*) which combines earthly clay with the divine breath. They also appear in the unique abilities that Allah gave to humans, making them superior to other creatures and qualifying them to be successors (*Khilafah*) on Earth, while cosmic forces were subjected to serve them.

However, after creation, certain negative traits appeared in humans. The further humans move away from Allah's path, the more they are inclined to practice these negative behaviors. The research concludes that these traits cannot be reformed except through true faith in Allah and commitment to the guidance of Islamic Sharia.

* Dr. Salah Sabbar Kharbit

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال:

المراجعة:

القبول:٢٠٢٦/٦/١

الكلمات المفتاحية:

القرآن الكريم، الإنسان، التكريم، الصفات السلبية.

الملخص

يتناول هذا البحث حديث القرآن عن العناية والتكريم ومظاهرها، التي صاحبت خلق آدم (عليه السلام)، والحديث عن آدم يعني ضرورة الحديث عن ذريته، لأنها انفصلت عنه، وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى في مواضع متعددة، فالخلق إنما لآدم لكن الله تعالى خاطب الناس بهذا لأن خلق آدم خلقاً لهم.

ومظاهر تكريم الإنسان متعددة تتجلى في هيئته، وفي فطرته التي تجمع بين الطين والنفخة الإلهية، وفي استعداداته التي أودعها فيه وجعله فذاً على الخلائق واستأهل بها خلافة الأرض، وفي تسخير القوى الكونية له.

وإذا كانت هذه المظاهر مصاحبة لقصة الخلق، فإنه قد تبع هذه المظاهر صفات سلبية، كلما ابتعد عن منهج الله تعالى، كان إلى التلبس بها أقرب وإلى الاستجابة إليها أدعى صفات لا يهذبها إلاّ الإيمان بالله تعالى، والالتزام بتوجيهات الشرع الحكيم.

أهمية الموضوع:

يعد البحث في الإنسان وفلسفة وجوده منزعاً إنسانياً ومطلباً ملحاً فيه واقعنا المعاصر، الذي يعج بفلسفات ترى كل واحدة منها أنها خلاص الإنسان من أسئلته المحيرة.

ولما كان التبصر في النفس مبدأ إسلامياً أصيلاً فإن ما آل إليه الإنسان الحديث يدعونا للتبصر في حاله، والنظر في مآلاته، والوقوف على مظاهر عناية الله تعالى له، وصفات تميزه فهذه الأسباب وغيرها تعد مسوغاً موضوعاً يجعلنا نجد النظر في الإنسان، والوقوف على دلالات الآيات التي تبين ذلك والتي تحمل تصور الإنسان المسلم عن ذاته.

فمهمة المسلم إذن هي محاولة إعادة إنسان الفطرة، وبناء إنسان القرآن موصول بمدد الوحي، ينطلق من تصوره الكوني من الكتاب الهادي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إشكالية البحث:

قبل إن ينطلق أي مشروع بحثي إنساني، لابد أن تكون له هموم وإشكالات ملحة تدعو للنظر في إيجاد الحلول وربط الإجابات لها، والإنسان بطبعه دائم الاستفهام والتطلع لحل الإشكالات التي تطرق عقله، والمتدبر للقرآن الكريم حين يجد في كتاب الله المسطور آيات تترى تبين مظاهر العناية والتكريم التي حظي الإنسان، والنظر في دلالتها دفع التعارض المتوهم عند الحديث عن الصفات السلبية، وبيان

الوسائل الإيمانية التي تقلل من أثرها على شخصية المؤمن.

١.المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد ...

فمما لا شك فيه أن الرفعة والقيادة والكرامة والريادة والعزة والسيادة في هذه الدنيا وفي الآخرة إنما هي لحملة كتاب الله عز وجل العالمين به عن سيدنا النبي (ﷺ)، ولأنه قال: (إنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهذَا الْكِتَابِ أَقْواماً، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ)(مسلم، د:ت، ٥٥٩/١، رقم الحديث:٢٦٩).

وهذا ما يفسر اهتمام العلماء والدارسين في كل زمان ومكان بالقرآن الكريم دراسة وحفظاً وبحثاً في أسراره، فالقرآن الكريم كتاب لا تنقضي عجائبه أبهر عقول العلماء والبلغاء والباحثين كونه محركاً للفكر ومعطاءً للمعاني وفياضاً بالعلم النافع.

وبما أن الإنسان محور الخطاب القرآني، فهو المخاطب الرئيس في القرآن الكريم، والقرآن الكريم لأجله نزل، ولا عجب في ذلك، فهو أكرم مخلوق على الله تبارك وتعالى، وقد فضله سبحانه على كثير ممن خلق تفضيلاً، ومن مظاهر التكريم التي اختص الله بها الإنسان جعله مناط التكليف، ففي حين خلق الله تعالى الثمار، والأنعام لخدمة الإنسان وفائدته فقد اختص الإنسان بمهمة عظيمة، هي مهمة عبادِته، وحمل أمانته، ومن العبادات أداء الصلاة، والحج، والصوم، وترك الشهوات، وما رتبه الله للإنسان جزاء صبره، وإيمانه من النعيم المقيم في جنات الخلد.

وفي المقابل هناك صفات سلبية أتصف بها الإنسان ذكرها القرآن الكريم ونبه عنها وعن مخاطرها على الفرد والمجتمع وألزم المسلمون بالابتعاد عنها.

ومن هذا المنطلق وجدت من المناسب أن أخوض في غمار هذا الكتاب العزيز، فكان بحثي بعنوان: **(الإنسان في القرآن الكريم بين مظاهر التكريم والصفات السلبية – دراسة موضوعية).**

أما تقسيم المباحث فكانت على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث ويتضمن مطلبان.

المطلب الأول: تعريف الإنسان لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: مظاهر التكريم وعلامات التمييز.

المبحث الثالث: الصفات السلبية.

أما الخاتمة فحددت فيها أهم النتائج فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي المتواضع هذا وفي نهايته قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدتها ....

نسأل الله تعالى أن يكون عملنا هـذا خالصـاً لوجهه الكريم والحمد لله أولاً وأخيراً وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ....

٢.المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

٢.١.المطلب الأول: تعريف الإنسان لغة واصلاحاً

الإنسان لغة: (الإنس والواحدُ إنسـيٌ بالكسـر وسكون النون وأنَسيٌ بفتحتين والجمـع أناسـيٌ قـال تعالى: ﴿ وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾ (الفرقان: ٤٩).

وكذا الأناسية مثل الصيارفةِ والصياقلةِ ويقالُ للمرأةِ أيضاً إنانٌ ولا يقال إنسانةٌ ... والأُناسُ بالضـمِّ لغةٌ في الناسِ وهو الأصلُ والأنيسُ المؤانسُ وكلٌ مـا يؤنس بهـ)(الرازي، ١٩٩٥م، ص٢٠).

وجاء في المصباح المنير: (والإنسُ: البشر، الواحد إنسيُ أيضاً بالتحريك، والجمعُ أناسـيسٌ، وإن شئت جعلته إنساناً ثم جمعتها أناسيسُ، فتكـون اليـاءُ عوضاً من النونِ، وإنسانُ العين: الثمال الذي يُرى في السوادِ، أي سوادُ العينِ، ويجمعُ أيضاً على أناسـيس والإنسانُ من الناس اسم جنس يقعُ على الذكرِ والأنثى والواحد والجمع)(الفيومي، د:ت، ٢٦/١).

قال ابن فارس: (الهمزةُ والنونُ والسينُ أصلٌ واحدٌ وهو ظهور الشيء، وكلّ شيءٍ خـالف طريقـة التوحش. ويقال: إنسانٌ وإنسانان وأناسيّ)(بن فارس، ١٩٧٩م، ١٥٤/١) .

وفي لسان العرب: (أصلُهُ إنسيانٌ؛ لأن العربّ قاطبةً قالوا في تصغيره: أُنَسيانٌ، فدلت الياءُ الأخيرةُ على الياء في تكبيره إلا أنهم حذفوها لمّا كثر (الناسُ) في كلامهم)(ابن منظور، ١٩٩٠م، ٥٠٠/١٢).

واختلف أهل اللغة في أصل اشتقاقه: (فقـال البصريون من (الأُنس) فالهمزة أصل ووزنه (فِعلان). وقال الكوفيون: مشتق من (النِّسيان) فـالهمزةُ زائـدةٌ، ووزنه (إفعان) على النقص، والأصلُ (إنْسان) علـى (إفعلان) ولهذا يُردُّ إلى أصله في التصـغير فيقـالُ: أُنسيان)(الفيومي، د:ت، ٢٦/١)، ويقصدُ بالإنسـان آدم (عليه السلام) وذريتهُ، وسمي الإنسانُ إنساناُ لأنـه عُهِدُ إليه فنسي(ابن منظور، ١٩٩٠م، ١٧٠/١).

يتضح من التعريفات اللغوية للإنسان أنه يرجع إلى أمرين:

الأول: من الأُنس لأنه يأنس ويؤنس به.

الثاني: من النسيان، حيث أن الإنسـان مـن طيبته النسيان.

الإنسان في الاصطلاح

الإنسان اصطلاحاً (اسم جنس يطلق على آدم (عليه السلام) وعلى ذريته سـواءً أكـان واحـداً، أو جماعةً، أو ذكراً، أو أنثى)(أبو شلطه ،٢٠٠٩م، ص ٨٨).

وعرفه بعضهم بأنه: (الحيوان المفكر أو القادر على الإدراك المجرد، أو القادر على الرمز)(التومي، ١٩٨٧م ، ص٩٤).

وقد عرفه الفلاسفة القدماء بأنه حَيَوانٌ ناطق(الجرجاني، ١٤٠٥هـ، ص٥٦) ويعني بالناطق هنا: أي الفاهم الذي يعقلُ ويفهمُ(حقوق الإنسان مفهومة وتطبيقاته في القرآن الكريم، ١٤٢٤هـ ، ص١٨).

٢.٢.المطلب الثاني: القرآن في اللغة والاصطلاح:

القرآن لغة:

لمفهوم القرآن عند علماء اللغة تعريفات عدة، ومن ذلك أن: (القرآن: التنزيل، قرأه قراءاً، وقراءةُ، وقرآناً)(ابن منظور، ١٩٩٠م، ١/٣٠-٣١)، وجاء في لسان العرب: (يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه(ﷺ) كتاباً وقرآناً وفرقاناً، ومعنى القرآن الجمع، وسمي قرآناً لأنه يجمع المسور فيضُمها، وقوله تعالى:(**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**) (القيامة: ١٧) أي جمعه وقراءته، وقرأتُ الشيءَ، قرآناً: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدرٌ كالغفران والكفران)(ابن منظور، ١٩٩٠م، ١/١٢٨-١٢٩).

القران اصطلاحاً

تعددت عبارات العلماء في تعريف القرآن الكريم، فقد عرفه علماء التفسير وعلوم القرآن بأنه: (هو كلام الله المعجز، المنزل على محمد (ﷺ)، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة، المفتتح بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس)(الخطيب، ٢٠١١م ،٢/٦٦٠)، وعند علماء أصول الفقه هو: (حقيقة الكتاب هو ما نقل إلينا بين دفتيّ المصحف بالأحرف السبعة المشهورة نقلاً متواتراً)(الغزالي، ٢٠٠٩م ، ١/٩)، أو (هو اللفظ المنزل على محمد (ﷺ) للإعجاز بصورة منه المتعبد بتلاوته)(العطار، د:ت، ١/٣٥٧)

٣.المبحث الثاني: مظاهر التكريم وعلامات التميز

كثر حديث القرآن الكريم عن الإنسان وتنوع حتى أمكن القول إن الإنسان هو العنوان لهذا الكتاب الكريم الذي هو القرآن.

وقد عدّ بعض الباحثين، هذا الموضوع من المقاصد العامة للقرآن(الوتاري، ٢٠١٩م، ص٣١)، كما ذهب آخرون إلى أن تكون قضية الإنسان هي محور العقيدة في الفكر الإسلامي، وإفراد قضية الإنسان ببيان مستقل وشامل كقضية عقدية أصلية يستجلي أبعادها في أصول القرآن والربط بين آيات التكوين الإنساني وبين المدلولات العقدية لتلك الآيات(النجار، ٢٠١٥م ، ص٢٢٠) .

وسأعرض في هذا المبحث مظاهر تكريم الإنسان، كما عرضه القرآن الكريم، وهذه المظاهر وعلامات تميز حظي بها آدم (عليه السلام)، ويمكن أن نذكر هذه المظاهر بما يلي:

الأول: مظهر التسوية: ريم الإنسان، مظهر التسوية، إذ جاء هذا الخلق في أحسن تقويم قال تعالى:(**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**)(التين: ٤)، على هيئة هي أحسن الهيئات، وفي تقويم هو أحسن تقويم، في ظاهره وباطنه، مما يبدو من جمال الهيئة.

فهذا التقويم خاص بالإنسان لا يشاركه فيه غيره من المخلوقات، والآية تفيد أن الله كوّن الإنسان تكويناً ذاتياً متناسباً مع ما خلق له نوعه من الإعداد لنظامه وحضارته، وليس تقويم صورة الإنسان الظاهرة هو المعتبر عند الله تعالى ولا جدوى أن يقسم عليه إذ لا أثر له في إصلاح النفس(بن عاشور، ١٩٨٤م، ٤٢٤/٣٠) كون الآية تفيد العموم وتشمل كل إنسان(أبو حيان، ١٩٩٣م، ٨٤/٣).

ولعل هذه العناية الإلهية في خلق الإنسان، في عناصر تركيب هذا الكائن الفريد الذي كرمّ من فوق سبع سماوات، وسجدت له الملائكة، وقصة خلق الإنسان وأطوارها – وهي ليس من موضوع بحثنا – فهي تتعلق بخلق الإنسان نوعاً في بداية وجوده، فالذي يهمنا ما كان له علاقة بمظهر تسويته. قال تعالى:(**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**) (الحجر: ٢٩.)، فأي عظمه هذه وأي تكريم.

جاء في أنوار التنزيل ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ** ﴾ قومّه بتصوير أعضائه على ما ينبغي، ﴿ **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى** ﴾ إضافة إلى نفسه تشريفاً له وإشعاراً بأنه خلق عجيب، وأن له شأنا له مناسبة ما إلى الحضرة الربوبية ولأجله قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه(البيضاوي، د:ت ، ٢٢٠/٤)، فكانت نفخة الروح من مظاهر تكريم هذا المخلوق الطيني الذي أمر الله تعالى ملائكته بالسجود له(القرطبي، ٢٠٠٦م، ص١٠).

وجاء ارتباط النفخ بالروح بتمام الخلقة وتسويتها مع إضافة الروح إلى الله سبحانه وتعالى دليلاً، على شرف الروح وعظمتها، إذ لا يليق بها أن تنفخ في جسد ناقص غير سوي، أو صورة ليست كاملة او هيئة غير تامة، فكان ذلك تشريفاً لسيدنا آدم (عليه السلام) ومن بعده أكبر تشريف للبشرية جمعاء(فرمان، ١٩٩٨م، ص٣٤).

لقد أودع الله تعالى في آدم سراً حين نفخ فيه سبحانه، وأفاض هذا النفخ على آدم من مظاهر التكريم ما لم يحط به إلا الله تعالى، دونما حاجة إلى أن نذهب بعيداً عن تأويلات وتفسيرات لا ينطق بها النص(العيص، ٢٠١١م، ص٣٤٦).

يقول صاحب الظلال: (لا تملك أن تسأل كيف تلبست نفخة الله الأزلي الباقي بالصلصال المخلوق الفاني، فالجدال على هذا النحو عبث عقلي، بل عبث بالعقل ذاته، وخروج به عن الدائرة، التي يملك فيها أسباب التصور والإدراك والحكم.

وكل ما ثار من جدل حول هذا الموضوع، وكل ما يثور، إن هو إلا جهل بطبيعة العقل البشري وخصائصه، وحدوده، وإقحام له في غير ميدانه(قطب، ٢٠٠٤م، ٢١٤٠/٤) .

الثاني: تعليم الله لآدم (عليه السلام):

تعليم الله تعالى لآدم الأسماء كلها كان أحد مظاهر الكريم له، وإحدى علامات التميز قالَ تَعَالى:(**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**) (البقرة: ٣١.).

والظاهر كما يرى ابن عاشور إن التعريف في الأسماء تعريف الجنس، أريد منه الاستغراق، للدلالة على أنه سبحانه علمه جميع الأشياء المعروفة، والظاهر أيضاً ان هذه الأسماء الفاظ تدل على ذوات الأشياء التي يحتاج ذات الأشياء التي يحتاج نوع الانسان الى التعبير عنها لحاجته الى ندائها او استحضارها(البيضاوي، د:ت، ٤٠٩/١).

لقد صار التعليم ميزة لآدم وذريته من، بين سائر المخلوقات التي نراها، فقد ألهم الله الإنسان استخدام القلم وسيلة التعليم الكبرى قَالَ تَعَالَى:(**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**) (العلق: ٤-٥.).

ويحتمل على قول الرازي أن يكون المراد علمه بالقلم وعلمه أيضاً غير ذلك ولم يذكر واو النسق، وقد يجري مثل هذا في الكلام تقول: اكرمتك أحسنت إليك ملكتك الأموال(الرازي، ٢٠٠٠م، ٢١٩/١١).

كذلك علم الله تعالى الإنسان البيان قالَ تَعَالىَ:(**الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**)(الرحمن:١-٤)

إن المرء ليعجز بحق رصد الآثار الإيجابية التي برزت في الحياة الإنسانية بسبب هذا العلم والتعلم، فهي ميزة خص الله تعالى بها آدم (عليه السلام) وظهرت في ذريته، في حين حرمت منه المخلوقات الأخرى فيما نرى(العيص ، ٢٠١١م، ص٣٥٠).

وبذلك يكون من التسوية والنفخ، والتعليم والستر كلها مظاهر تكريم وصفها القرآن الكريم، تميز بها بني آدم من غيره من المخلوقات، وبالمقابل نجد أن هذه المظاهر تبعتها صفات سلبية قد يبدوا من ظاهرها موهم التعارض بين الآيات لكنه في الحقيقة لا تعارض بينها، يظهر ذلك عند الوقوف على دلالات تلك الآيات في المبحث الثاني في هذه الدراسة.

٤.المبحث الثالث: الصفات السلبية

إذا كان صاحب خلق آدم مظاهر تكريم له، وهي تلك التي وقعت عليها بما يناسب موضوع البحث، فإنه قد تتبع هذه المظاهر الحسنة صفات سلبية، قد تبدو من ظاهرها أنها توهم التعارض بين الآيات، إن العرض لهذه المسألة وبيان حقيقتها، ودفع ما قد يبدو من توهم المعارض في دلالات الآيات، ومن هذه الصفات التي تلبس بها الإنسان.

الأولى: تلبس الإنسان بالكفر

قال تعالى في بيان تلبس الإنسان بالكفر قال تعالى(**وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ**

الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ) (الحج: ٦٦)، وقال تعالى:(**قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ**) (عبس: ١٧)

اختلف العلماء في المراد بالإنسان في الآيات الكريمة، فمنهم من حملها على الكافر، وعدها من العام الذي أريد به الخاص (القرطبي ، ٢٠٠٣م، ٩/١٠؛ الرازي، ٢٠٠٠م، ٢٢/١٢١)، في حين رأى بعض العلماء أن هذه الآيات نتحدث عن الإنسان من حيث هو إنسان، من لدن آدم (عليه السلام) إلى ذريته جميعها، ذلك أن هذا الإنسان تلبس أشد التلبس بهذه الصفات السلبية لحكمه، وجعلت منه في قالب أنه جبل عليها(الطبري، ٢٠٠٠م، ٤/٦١٧)، والصحيح ما عليه أصحاب الرأي الثاني، حيث أريد به الإنسان، بدليل قرينة السياق مع عادة القرآن الكريم، فهذه الآيات وأمثالها هي خطاب الجمع بلفظ الواحد كما بيّنه الزركشي في برهانه (الزركشي، ١٩٥٧م، ٢/٢٢٢)، أما الكافر فيدخل دخولاً أولياً في دلالة هذه الآيات.

الصفة الثانية: عدم الاتزان

ثمة صفة أخرى غير الصفات التي ذكرت، تلكم هي صفة عدم الاتزان، فالذي يبدو من تصرفات الإنسان أنه غير متزن في مواقف عدة.

يبين الله تعالى هذه الصفة، ومظاهرها في مواقف متعددة، منها قوله تعالى:(**إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ**)(المعارج: ١٩ – ٢٢)، ومنها قوله تعالى:(**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا**) (الاسراء:٨٣)، وكذلك قوله تعالى:(**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ**) (الشورى: ٤٨).

يقول ابن جزي في الآية الأولى: (الإنسان هنا اسم جنس بدليل الاستثناء منه)(بن جزي، ١٣٥٥هـ، ٤/١٤٧)

يقصد بالاستثناء في قوله تعالى:(**إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**) (المعارج: ٢٢–٢٥)، وهذا المعنى مستفاد من دلالة السياق.

إن الإنسان بطبعه لا يحسن التعامل مع مظاهر النعمة ولا دواعي الفرح، كما لا يحسن مواجهة البأساء والضراء، وهذا ما دلت عليه الآيات، السابقة فقد وصف الله تعالى الإنسان بأنه هلوع، والهلع: قلة إمساك النفس عند اعتراء ما يحزنها، أو ما يسرها، أو عند توقع ذلك والاشفاق منه.

إن الهلع طبيعة كامنة في الإنسان مع خلقه، تظهر عند شعوره بالنافع والضار، ويؤكده الواقع (بن عاشور، ١٩٨٤م، ٢٩/١٦٧).

بين القرآن الكريم علاج عدم الاتزان هذا، وذكر المخرج من هذا التخبط إنه الإيمان بالله تعالى والمتمثل بالصلاة إنها أبرز مظاهره، فقد تضمنت الآية

الأولى وصف الإنسان بالعلم إذا مسه الشر جزعٌ، وإذا مسه الخير منع، واستثنت صنف واحد وهم المصلون.

وبهذا تظهر أهمية الصلاة، ومدى حاجة الإنسان إليها، لتسهم في تخليصه من الصفات السلبية المتلبس بها.

الصفة الثالثة: الطغيان

وتبقى صفات سلبية أخرى تلبس بها الإنسان، فإن كثرة المال سبب الحصول هذه الصفة السلبية، قال تعالى:(**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ**) (العلق: ١-٦).

والمراد في هذه الآية جملة الإنسان، على حد قول الرازي وقد عدّه القول الأقرب بحسب الظاهر، ثم يعلل (رحمه الله) اختياره هذا قائلاً: (لأنه تعالى بين أن الله سبحانه مع أنه خلقه من علقه، وأنعم عليه بالنعم التي قدمنا ذكرها، إذ أغناه، وزاد في النعمة عليه فإنه يطغى ويتجاوز الحد في المعاصي واتباع هوى النفس، وذلك وعيد وزجر عن هذه الطريقة ثم إنه تعالى أكد هذا الزجر بقوله:(**إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ**) (العلق: ٨) أي إلى حيث لا مالك سواه(الرازي، ٢٠٠٠م، ٢١٩/١١).

قال البقاعي في تفسير الآية: (هذا النوع الذي نوعك ومن شأنه الأنس بنفسه والنظر في عطفه ﴿لَيَطْغَىٰٓ﴾ أي من شأنه- إلا من عصمه الله سبحانه – أن يزيد على الحد الذي لا ينبغي له مجاوزته.... وهذا هو الطبع الغالب على الإنسان متى استغنى عن شيء عمي عن مواضع افتقاره، فتغيرت أحواله معه وتجاوز فيه ما ينبغي له الوقوف) (البقاعي، ٢٠٠٦م،٨/ ٤٨٢)' ثم قال: (.... ولما كان لا دواء لذلك مثل تذكر الجزاء، قال معرفاً أن الإنسان لا يزال مفتقراً إلى مولاه في حياته ومماته وغناه وفقره) (البقاعي، ٢٠٠٦م، ٢٨٢/٨).

ولذلك كانت الزكاة وسيلة من عدة وسائل لمحاصرة هذه الصفة السلبية، فإن فرص الزكاة في أموال طائفة وتوزيعها على طائفة أخرى، إنما كان بعلم الله تعالى بأحوال عباده بصنفيهم تقلل الطغيان، المستغني والمحتاج، فإن كثرة المال سبب لحصول الطغيان والقسوة في القلب، فإيجاب الزكاة يقلل الطغيان والقسوة في القلب ويدل القلب إلى طلب رضا الرحمن (الرازي، ٢٠٠٠م،٥/ ١٠٢).

وبذلك يكون العطاء – أي الزكاة قد يسهم في محاصرة الطغيان في نفوس أصحاب الأموال كل ذلك عن علم الله وحكمته.

وبذلك يتبين أن الصلاة والزكاة، هي وسائل معالجة لصفات الإنسان السلبية، وقد مر معنا أن الصلاة هي أكبر وسيلة لمعالجة ظاهرة عدم الاتزان، كالهلع واليأس وكفران النعمة.

وتبقى صفات سلبية أخرى تلبس بها الإنسان، لا يهذبها إلاَّ الإيمان بالله تعالى، والالتزام بتوجيهات

الشرع، منها الجدال، في قوله تعالى:(**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**) (الكهف: ٥٤)، ومنها كذلك العجلة التي يفقد معها الإنسان التروي، والتثبت، وفيها يقول الله تعالى:(**خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ**) (الانبياء: ٣٧).

ذكر القرآن الكريم غير هذه الصفات، وتضمن الرسائل الايمانية التي تحاصرها، وتقلل من أثرها على شخصية المؤمن – لا يسع مجال الدراسة لذكرها على سعتها – لكنني بنيت بحسب جهدي حقيقة المسألة ودفع ما قد يبدو من توهم التعارض.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

٥.الخاتمة ونتائج الدراسة

١. إن مظاهر تكريم الإنسان الوارد في آيات القرآن الكريم، كالتسوية والنفخ والتعليم والستر، وكذلك التسخير والاستخلاف جعلت من الإنسان سيد في هذا الكون.
٢. إن كل ما تميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات والعناية الإلهية به، أهلته لتولي الخلافة في الأرض.
٣. إن التتبع لآيات القرآن الكريم والجمع بين مظاهر التكريم وعلامات تميزه، والصفات السلبية التي تلتبس بها فإنه كفيل بإزالة توهم التعارض بينهما في دلالات الآيات.
٤. وجود صفات سلبية عرض لها القرآن الكريم تلبس بها الإنسان، تتبع المظاهر الحسنة، قد تبدو في ظاهرها أنها تعكر صفو تلك المظاهر المميزة له، لكن النظرة الشمولية لكل هذه الآيات تبين لنا أن عناية الله تعالى مصاحبة للإنسان على كل وجه، فإن وجود صفة سلبية في النفس البشرية تذكره دائماً بحاجته إلى خالقه سبحانه، يستمد منه القوة والعون، حتى لا يتوهم أنه مستقل بذاته مستغن عن ربه وخالقه.

المصادر والمراجع

- **بعد القرآن الكريم**

١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، (ت٧٧٠هـ)، دار الفيحاء، بيروت، لبنان، ١٤٤٢ه – ٢٠٢١م.

٢- المقاصد العامة للقرآن الكريم دراسات في التفسير الموضوعي: أحمد الوتاري، مكتبة التفسير، العراق، (ط١)، ١٤٤٠ه – ٢٠١٩م.

٣- مقاربات في قراءة التراث، عبد المجيد عمر النجار، الدار المالكية، تونس، (ط١)، ١٤٣٦ه – ٢٠١٥م.

٤- التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور

التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر:١٩٨٤م.

٥- البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (٧٥٤هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط١)، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٦- التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ)، مكتبة التجارية الكبرى، مصر، (ط١)، ١٣٥٥ه.

٧- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط١)، ١٤٢٣ه – ٢٠٠٣م.

٨- مفاتيح الغيب= التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان، (ط٣)، ١٤٢٠ه – ٢٠٠٠م.

٩- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (ط١)، ١٤٢٠ه – ٢٠٠٠م.

١٠- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار أحياء الكتب العربية، عيسى الباب الحلبي وشركائه، الجزء الأول، (ط١)، ١٣٧٦ه – ١٩٥٧م.

١١- التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل: الدكتور زيد عمر العيص، دار مودة للترجمة والنشر، القاهرة، (ط٢)، ٢٠١١م.

١٢- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط٣)، ١٤١٤هـ.

١٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي: دار إحياء التراب العربي، بيروت، لبنان، (ط١)، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م.

١٤- حول قصة الخلق: محمد البشير فرحان، دار الوسام، (ط١)، ١٤١٩ه – ١٩٩٨م.

١٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت:٨٨٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ه – ١٩٩٥م.

١٦- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (٧٢١هـ)، تحقيق: محمود

خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، ١٤١٥ه – ١٩٩٥م.

١٧- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت٣٩٥هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، (ب. ط)، ١٩٧٩م.

١٨- مفهوم الإنسان في القرآن والحديث الشريف، أحمد بو شلطه، مكتبة حسن العصرية، (ط١)، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م.

١٩- مقدمة في الفلسفة الإسلامية: عمر محمد التومي الشيباني، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٧م.

٢٠- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط١)، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٢١- حقوق الإنسان مفهومه وتطبيقاته في القرآن الكريم: مقدم الى مؤتمر حقوق الإنسان في السلم والحرب، جمعية الهلال الأحمر السعودي، شعبان ١٤٢٤ه.

٢٢- مفاتح التفسير: أحمد سعد الخطيب، دار التدمرية، الرياض المملكة العربية السعودية، (ط١)، ٢٠١١م.

٢٣- المستصفى من علم الأصول: أبي حامد محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د. ط)، ٢٠٠٩م.

٢٤- حاشية العطار على جمع الجوامع، للشيخ حسن بن محمد بن محمود العطار (ت١٢٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط).

٢٥- روضة الناضر وجنة المناظر في أصول الفقه، عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ)، تحقيق: عبد الكريم بن علي النملة، مكتبة الرشيد، الرياض، السعودية، (ط١)، ١٩٩٣م.

References

The Holy Quran

1- Al-Misbah Al-Munir fi Gharib Al-Sharh Al-Kabir lil-Rafi'i: Ahmad ibn Muhammad ibn Ali Al-Muqri Al-Fayumi (d. 770 AH), Dar Al-Fayha, Beirut, Lebanon, 1442 AH – 2021 CE.

2- Al-Maqasid Al-'Amma lil-Qur'an Al-Karim: Dirasat fi Al-Tafsir Al-Mawdu'i: Ahmad Al-Watari, Maktabat Al-Tafsir, Iraq, (1st ed.), 1440 AH – 2019 CE.

3- Muqarabat fi Qira'at Al-Turath: Abd Al-Majid Omar Al-Najjar, Al-Dar Al-Malikiyya, Tunisia, (1st ed.), 1436 AH – 2015 CE.

4- Al-Tahrir wa Al-Tanwir: Tahrir Al-Ma'na Al-Sadid wa Tanwir Al-'Aql Al-Jadid min Tafsir Al-Kitab Al-Majid: Muhammad Al-Tahir ibn Muhammad ibn Muhammad Al-Tahir ibn Ashur Al-Tunisi (d. 1393 AH), Al-Dar Al-Tunisiyya lil-Nashr, Tunisia, 1984 CE.

5- Al-Bahr Al-Muhit: Abu Hayyan Muhammad ibn Yusuf al-Andalusi (d. 754

Halabi & Partners, Part One, (1st ed.), 1376 AH – 1957 CE.

11. Thematic Interpretation: Foundations and Examples: Dr. Zaid Omar Al-Ais, Mawadda Publishing House, Cairo, (2nd ed.), 2011.

12. Lisan al-Arab: Muhammad ibn Mukarram ibn Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwayfi'i al-Ifriqi (d. 711 AH), Dar Sader, Beirut, Lebanon, (3rd ed.), 1414 AH.

13. Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil: Nasir al-Din Abu Sa'id Abdullah ibn Umar ibn Muhammad al-Shirazi al-Baydawi (d. 685 AH), edited by Muhammad Abd al-Rahman al-Marashli: Dar Ihya' al-Turab al-Arabi, Beirut, Lebanon, (1st ed.), 1418 AH – 1997 CE.

14. On the Story of Creation: Muhammad al-Bashir Farhan, Dar al-Wissam, (1st ed.), 1419 AH – 1998 CE. 15. *Nathm al-Durar fi Tanasub al-Ayat wa al-Suwar* (The Arrangement of Pearls in the Harmony of Verses and Chapters): Ibrahim ibn Umar ibn Hasan al-Ribat ibn Ali ibn Abi Bakr al-Biqa'i (d. 885 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1415 AH – 1995 CE.

16. *Mukhtar al-Sihah* (Selected Correct Arabic): Muhammad ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir al-Razi (d. 721 AH), edited by Mahmoud Khater, Maktabat Lubnan Nashirun, 1415 AH – 1995 CE.

17. *Muqayis al-Lughah* (The Standards of Language): Ahmad ibn Faris ibn AH), edited by Adil Ahmad Abd al-Mawjud and Ali Muhammad Muawwad, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, (1st edition), 1413 AH – 1993 CE.

6- Al-Tashil li-Ulum al-Tanzil: Abu al-Qasim Muhammad ibn Ahmad ibn Juzayy al-Kalbi (d. 741 AH), Maktabat al-Tijariyya al-Kubra, Egypt, (1st edition), 1355 AH.

7- Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an: Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr ibn Farah al-Ansari al-Khazraji Shams al-Din al-Qurtubi (d. 671 AH), edited by Hisham Samir al-Bukhari, Dar Alam al-Kutub, Riyadh, Saudi Arabia, (1st edition), 1423 AH – 2003 CE.

8- Keys to the Unseen = The Great Commentary: Abu Abdullah Muhammad ibn Umar ibn al-Hasan ibn al-Husayn al-Taymi al-Razi, known as Fakhr al-Din al-Razi, the preacher of Rayy (d. 606 AH), Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, Lebanon, (3rd ed.), 1420 AH – 2000 CE.

9- The Comprehensive Explanation in the Interpretation of the Qur'an: Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Kathir ibn Ghalib al-Amili, Abu Ja'far al-Tabari (d. 310 AH), edited by Ahmad Muhammad Shakir, Al-Risalah Foundation, Beirut, Lebanon, (1st ed.), 1420 AH – 2000 CE.

10- The Proof in the Sciences of the Qur'an: Imam Badr al-Din Muhammad ibn Abdullah al-Zarkashi (d. 794 AH), edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyyah, Isa al-Bab al-

Zakariya al-Razi (d. 395 AH), Dar al-Fikr al-Arabi, Cairo, (n.d.), 1979 CE.

18. *Mafhum al-Insan fi al-Qur'an wa al-Hadith al-Sharif* (The Concept of Man in the Qur'an and the Noble Hadith): Ahmad Bu Shaltah, Maktabat Hasan al-Asriyya, (1st ed.), Beirut, Lebanon, 2009 CE.

19. *Muqaddimah fi al-Falsafah al-Islamiyyah* (An Introduction to Islamic Philosophy): Omar Muhammad al-Toumi al-Shaybani, al-Dar al-Jamahiriya lil-Nashr wa al-Tawzi', Tripoli, Libya, 1997 CE.

20. Definitions: Ali ibn Muhammad ibn Ali al-Zayn al-Sharif al-Jurjani (d. 816 AH), edited and corrected by a group of scholars under the supervision of the publisher, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, (1st ed.), 1403 AH – 1983 CE.

21. Human Rights: Its Concept and Applications in the Holy Qur'an: Presented to the Human Rights in Peace and War Conference, Saudi Red Crescent Society, Sha'ban 1424 AH.

22. Keys to Interpretation: Ahmad Saad al-Khatib, Dar al-Tadmuriyah, Riyadh, Saudi Arabia, (1st ed.), 2011 CE.

23. The Essence of the Science of Usul al-Fiqh: Abu Hamid Muhammad al-Ghazali (d. 505 AH), al-Maktabah al-Asriyyah, Beirut, Lebanon, (n.d.), 2009 CE.

24. Al-Attar's Commentary on Jam' al-Jawami', by Sheikh Hassan ibn Muhammad ibn Mahmud al-Attar (d. 1250 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, (n.d.).

25- Rawdat al-Nadhir wa Jannat al-Manadhir fi Usul al-Fiqh, Abdullah bin Ahmad bin Muhammad bin Qudamah al-Maqdisi (620 AH), edited by: Abdul Karim bin Ali al-Namlah, Al-Rashid Library, Riyadh, Saudi Arabia, (1st edition), 1993 AD.